

الشيعية وآراء حول نشوء التشيع

<"xml encoding="UTF-8?">



معنى الشيعة

في اللغة قال ابن منظور: الشيعة : القوم الذين يجتمعون على امر، وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة . وقال الزجاج : الشيعة : اتباع الرجل و انصاره . وقال الازهري : الشيعة : قوم يهوون هوى عترة النبي (ص) ويوالونهم .

وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا واهل بيته رضوان الله عليهم اجمعين ، حتى صار لهم اسما خاصا، فاذا قيل : فلان من الشيعة ، عرف انه منهم واصل ذلك من المشايعة ، وهي المتابعة والمطاوعة .

هذا ما جاء في لسان العرب ٨: ١٨٨ و١٨٩ (مادة شيع) . وفي قاموس المعجم الوسيط : الشيعة : الفرقة والجماعة ... والاتباع والانصار...، ويقال :هم شيعة فلان وشيعة كذا من الراء، وفرقة كبيرة من المسلمين اجتمعوا على حب علي وآله و احقيتهم بالإمامة .

وقد استعمل القرآن الكريم كلمة شيعة بمعنى الاتباع والانصار، فقال : (وان من شيعته لابراهيم) .

كيف نشأ التشيع

هناك آراء وتفسيرات حول نشوء التشيع :

الراي الاول : يرجع التشيع الى جذور خارجية ، و اصحاب هذا الاتجاه ينحون منحيين مختلفين :

المنحى الاول يحاول نسب الظاهرة الى اصل يهودي . ومن المؤرخين والباحثين الذين تبنوا هذا المنحى الطبري في تاريخه ، ومحمد فريد وجدي في دائرة المعارف . قال الطبري في تاريخه : عن سيف عن عطية عن يزيد

الفقعسي قال :

كان عبد الله بن سبا يهوديا من أهل صنعاء، أمه سوداء، فاسلم زمان عثمان ، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالت فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام ثم قال لهم : لكل نبي وصي ، وكان على وصي محمد، ومحمد خاتم الانبياء، وعلي خاتم الاوصياء.

وقال محمد فريد وجدي في دائرة المعارف : كان ابن السوداء (عبد الله بن سبا) في الاصل يهوديا من الحيرة فظهر الإسلام ، و أراد ان يكون له عند اهل الكوفة سوقا ورياسة ، فذكر لهم انه وجد في التوراة ان لكل نبي وصيا، و ان عليا وصي محمد. الملاحظات العابرة امام هذا الرأي ملاحظتنا العابرة والعاجلة على هذا المنحى في الاتي :

اولا : المصدر التاريخي الاول الذي دون قضية عبد الله بن سبا هو الطبري ومنه استقت بقية المصادر الاخرى القديمة والحديثة .

ثانيا : الاساس الوحيد الذي اعتمده الطبري في تدوين هذه القضية هو روايات سيف بن عمر.

ثالثا : اذا استطاع البحث العلمي ان يسقط وثيقة سيف بن عمر على مستوى الرواية ، وان يثبت اسطورية ابن سبا على مستوى الواقع التاريخي ، فان هذا المنحى ينهار من اساسه . وفعلا دفع هذا الموضوع الى دراسات علمية تاريخية مستوعبة اكدت الحقيقتين آنفا، ولطالب هذا ان يقرأ الفتنة الكبرى للدكتور طه حسين ، وعبد الله بن سبا في مجلدين للعلامة السيد مرتضى العسكري ، وهوية التشيع للدكتور احمد الوائلي .

وقد اثبت هؤلاء العلماء ان سيف بن عمر - واضع اسطورة عبد الله بن سبا- رجل كذاب ، وانه ليس لعبد الله بن سبا وجود في العالم الخارجي ، فضلا عن ان يكون منشأ لمذهب آل البيت (ع).

ولابد من التنبيه على ان اثبات اصالة آراء الشيعة وبنائها على الكتاب والسنة يغنيانا عن هذا البحث ، كما ان الطبري نفسه قد الف في السنوات الاخيرة من عمره ، كتابا في ولاية علي (ع) في خمس وثمانين من طرق حديث الغدير واسماه كتاب الولاية .

المنحى الثاني يحاول نسب الظاهرة الى اصل فارسي ، وان الفرس انما اختاروا التشيع من مذاهب الإسلام مذهباً لانفسهم ، كي يحتفظوا تحت ستاره بعقائدهم القديمة . وهذا الاتجاه نجد له ايماءات من بعض الكتاب المسلمين ، كأبي زهرة في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية ، واحمد عطية الله في كتابه القاموس الإسلامي . الملاحظات العابرة والعاجلة على هذا المنحى .

اقول : انما تحتل هذه التهمة فيما اذا كان الشيعة ايرانيين فقط ، او كانت الفرقة الاولى من الشيعة فارسية ، او كان جميع الذين اسلموا من الفرس او اكثرهم على الاقل ، وانهم اختاروا مذهب التشيع من اول الأمر، بينما نرى ان لا سابقة للفرس في التشيع، سوى سلمان الفارسي (ره)، وان اكثر الذين اسلموا من الفرس ما اختاروا مذهب التشيع من اول الأمر، بل نرى ان اكثر علماء المسلمين منهم في التفسير والحديث وعلم الكلام والادب من السنة لا من الشيعة ، بل لقد كان بعضهم من المتعصبين ضد التشيع بشدة ، وان هذا الأمر استمر بهم الى ما قبل الصفوية ، فان اكثر بلدان ايران الى عهد الصفوية كانوا سنة لا شيعة ، وكان الفرس كسائر

المسلمين يسبون امير المؤمنين عليا (ع) على منابرهم بتاثير من دعايات الامويين .

حتى قيل ان بعض مدن ايران قاومت منع عمر بن عبد العزيز من ذلك ، فاصرت على سب علي (ع) ، ونجد كما اسلفنا ان اكابر علماء السنة الى ما قبل عهد الدولة الصفوية كانوا من الفرس ، من المفسرين والفقهاء والمحدثين والادباء والمتكلمين واللغويين والفلاسفة وغيرهم .

فان ابا حنيفة الإمام الأعظم للسنة كان فارسيا ، والبخاري صاحب الصحيح واكبر محدثي السنة فارسي ، وسيبويه امام النحويين فارسي ، والجوهري صاحب كتاب الصحاح في اللغة فارسي ، والفيروز آبادي صاحب القاموس المحيط في اللغة فارسي ، والزمخشري اكبر واقدم المفسرين فارسي ، وهكذا الطبري والرازي وغيرهم ، وابو عبيدة وواصل بن عطاء فارسيان ، وهؤلاء كلهم من علماء السنة ، وهكذا كان اكثر علماء ايران والفرس سنة ، وامام هؤلاء نرى عددا كبيرا من الفقهاء الشيعة حتى القرن السابع الهجري غير ايرانيين او فارسيين ، كابن الجنيد وابن أبي عقيل والشيخ المفيد ، والسيد مرتضى علم الهدى والقاضي عبد العزيز بن البراج وأبي الصلاح الحلبي والسيد أبي المكارم بن زهرة وابن ادريس الحلبي والمحقق الحلبي ، والعلامة الحلبي والشهيد الاول والشهيد الثاني .

نعم ان اكثر الفرس تشيعوا منذ عهد الصفوية فما بعده . ونحن لا نريد ان نقول : ان التشيع لم يعرف في ايران الا في العهد الصفوي ، اذ لا شك ان ايران منذ صدر الإسلام كانت اصلح تربة لبذرة التشيع من المناطق الاخرى . والحقيقة ان إسلام الفرس يعزى لسبب واحد ، هو ان الفارسي رأى الإسلام منسجما مع روحه الحية ، ووجد فيه ضالته المنشودة ، ولهذا اشتاق الى أمة الإسلام أكثر من أي أمة اخرى ، فدخل فيه ، بل طفق يخدمه اكبر خدمة ممكنة .

ان الباعث الذي شد واجتذب الفارسي الى الإسلام اكثر من غيره ، لهو المساواة والعدالة التي افتقدتهما وحرمن منهما منذ قرون ، فكان في انتظارهما اشد الانتظار ، ورأى ايضا ان اعدل المسلمين العرب وادعاهم الى العدل والمساواة مع سائر المسلمين بدون اية عصبية بل بعاطفة رحيمة ، انما هم اهل بيت الرسول الكريم (ص) ، اذ كانوا ملاذ العدل ومهده في الإسلام ، ولاسيما للمسلمين من غير العرب .

الراي الثاني : يؤرخ لولادة التشيع بزمان الإمام جعفر الصادق (ع) ، وهو الإمام السادس من ائمة اهل البيت (ع) ، كما يقول علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وفلسفة الحكم) :

ومنهم من يؤرخ هذه الولادة بزمان الإمام جعفر الصادق ، حين قام فيه تلميذه هشام بن الحكم بدور واضح قواعد التشيع ومهندس بنائه الفكري ، حسب قول الدكتور محمد عمارة ، على القاعدة الرئيسية التي قام عليها التشيع ، وهي النص على علي بالخلافة والوصية اليه بهما ، وهما لم يعرفا الا في عهد الإمام الصادق وهشام بن الحكم .

الراي الثالث : يعتبر التشيع ظاهرة تمخضت عن الظروف والملابسات التي انتجتها واقعة كربلاء ، وما افرزته من تطورات جديدة داخل الساحة الإسلامية . ويمكن ان نلمس هذا الاتجاه عند الدكتور كامل مصطفى الشبيبي في كتابه (الصلة بين التصوف والتشيع) ، حيث قال : ان دلالة الاصطلاح (شيعة) على الكتلة التي ندرسها من

المسلمين ، وانصرافه اليهم دون غيرهم ، قد بدا بحركة التوابين التي ظهرت سنة ٦١ هـ ، وانتهت بالفشل سنة ٦٥ هـ ، وكان قائد الحركة يلقب بشيخ الشيعة .

الراي الرابع : ينسب ولادة التشيع الى ايام خلافة الإمام علي بن أبي طالب (ع)، حيث توافرت الظروف الملائمة لبروز هذه الحالة . ونجد عند ابن النديم في (الفهرست) هذا اللون من التوجه في تفسير الظاهرة الشيعية ، حيث قال : لما خالف طلحة والزبير على علي (ع)، وأبيا الا الطلب بدم عثمان بن عفان ، وقصدهما علي (ع) ليقاتلها حتى يفيئا الى امر الله جل اسمه ، سمى من اتبعه على ذلك الشيعة فكان يقول (شيعتي) وهناك من الباحثين من يفترض ان ولادة التشيع كانت يوم واقعة صفين ، كعبد الله نعمة في كتابه (روح التشيع).

الراي الخامس : يفترض ان ولادة التشيع كانت في عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، نتيجة لاجداث وتناقضات برزت في داخل المجتمع الإسلامي ، هيات جوا ملائما لنشوء الفرق والاحزاب والانتماءات . ومن الذاهبين لذلك جماعة من المؤرخين والمتكلمين ، منهم ابن حزم الاندلسي ، وجماعة آخرون ذكرهم يحيى هاشم في كتابه (عوامل واهداف نشأة علم الكلام) بالتفصيل .

الراي السادس : يؤرخ لولادة التشيع بالمرحلة التاريخية المبكرة التي اعقبت وفاة الرسول (ص) مباشرة ، ونلمس هذا الرأي في كلمات بعض الباحثين والمؤرخين ، ومنهم اليعقوبي في تاريخه ، حيث قال :

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار، ومالوا مع علي بن أبي طالب ، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوام ، وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي ، وابو ذر الغفاري وعمار بن ياسر والبراء بن عازب وأبي ابن كعب . ومنهم الدكتور احمد امين في كتابه (فجر الإسلام)، حيث قال :

وكانت البذرة الاولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي (ص) ان اهل البيت اولى الناس بخلافته . ومنهم الدكتور محمد علي ابو ريان في كتابه (تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام)، حيث قال : وكان علي بن أبي طالب يرى في الخلافة حقا شرعيا له ، فهو ابن عم الرسول (ص) وزوج ابنته فاطمة ، و اول من آمن بالرسالة ، والتف حوله اتباع كانوا يرون الخلافة يجب ان تؤول الى آل البيت ، وعلى راسهم علي بن أبي طالب . الرؤية الحقيقية حول نشوء التشيع ومراحلها .

الرأي السابع : وهو الرأي الصائب في نشوء التشيع ، ان التشيع ليس امرا مستحدثا، بل اننا من خلال قراءة المصادر التاريخية ، وكتب الحديث والتفسير واللغة ، نستطيع ان نعرف البدايات الاولى لولادة مصطلح الشيعة . ففي مناسبات عديدة طرح الرسول الأعظم (ص) هذا المصطلح ، وجذره في وعي الامة ، و اصله في ذاكرتها، وعمقه في وجدانها.

وبحجم ما اكدت تصريحات الرسول الأعظم (ص) وخطاباته هذا المصطلح ، فقد تكونت نخبة متميزة من صحابته (ص) كسلمان الفارسي و أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وغيرهم ، وهذه النخبة تحمل هوى وحبا لعلي بن أبي طالب (ع) في ايام الرسول الأعظم (ص)، حتى اصبح لفظ الشيعة لقبا لهؤلاء الصحابة . ذكر ابو حاتم في كتاب (الزينة):

ان اول اسم لمذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة ، وكان هذا لقب اربعة من الصحابة هم ابو ذر ، وعمار ، والمقداد ، وسلمان الفارسي . وقال ابو محمد الحسن بن موسى النوبختي في كتابه (الفرق والمقالات) : الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب ، المسمون بشيعة علي في زمان النبي (ص) وما بعده ، معروفون بانقطاعهم اليه والقول بامامته .

نماذج من النصوص الدالة على نشوء التشيع في أيام الرسول (ص) وتحت رعايته

روى ابن حجر المكي في الصواعق عن الديلمي ان رسول الله (ص) قال : (يا علي ، انت وشيعتك تردون على الحوض رواء مرويين ، مبيضة وجوهكم ، وان عدوك يردون على الحوض ظماء مقمحين) .

وقال بعد ما اورد قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) : اخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس ، ان هذه الآية لما نزلت ، قال (ص) لعلي : (هو انت وشيعتك . تاتي انت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضابا مقمحين) .

وقال : واخرج الدار قطني عن رسول الله (ص) انه قال : (يا ابا الحسن ، اما انت وشيعتك في الجنة) . وقال : واخرج احمد في المناقب انه (ص) قال لعلي (اما ترضى انك معي في الجنة ، والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا ، وازواجنا خلف ذريتنا ، وشيعتنا عن ايماننا وشمائنا) .

وقال : و اخرج الطبراني انه (ص) قال لعلي : (اول اربعة يدخلون الجنة انا و انت والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وازواجنا خلف ذريتنا ، وشيعتنا عن ايماننا وشمائنا) . (١)

وروى السيوطي في الدر المنثور عن ابن عساكر بسنده عن جابر ابن عبد الله قال : كنا عند النبي (ص) فاقبل علي (ع) فقال النبي (ص) : (والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة) ، فنزل قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) .

وقال : واخرج بن عدي عن ابن عباس قال : لما نزل قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) ، قال النبي (ص) لعلي (ع) : (هم انت وشيعتك) .

واخرج ابن مردويه عن علي (ع) قال : (قال لي رسول الله (ص) : الم تسمع قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) ؟ هم انت وشيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض اذا جاءت الامم للحساب . تدعون غدا محجلين) .

وروى الخطيب البغدادي في كتابه (موضح اوهام الجمع والتفريق) بسنده عن فاطمة بنت رسول الله (ص) ، ان رسول الله (ص) قال لعلي (ع) : (يا ابا الحسن ، اما انك وشيعتك في الجنة) .

وروى الهيثمي في مجمع الزوائد عن ام المؤمنين ام سلمة (رضي الله عنها) قالت : كان رسول الله (ص) عندي ، فقعدت اليه فاطمة (س) ليلة ومعها علي (ع) ، فرفع رسول الله (ص) راسه اليه فقال : (ابشر يا علي . انت وشيعتك في الجنة).

وروى في مجمعه ايضا عن أبي هريرة عن النبي (ص) انه قال لعلي (ع) : (انت معي وشيعتك في الجنة).

وروى في مجمعه ايضا عن أبي هريرة عن النبي (ص) انه قال لعلي (ع) : (انت معي وشيعتك في الجنة).

ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد. وروى ابن المغازلي الشافعي في المناقب بسنده عن انس بن مالك قال : قال رسول الله (ص) : (يدخل من امتي الجنة سبعون الفا لا حساب عليهم) ، ثم التفت الى علي (ع) فقال : (هم من شيعتك و انت امامهم). رواه الخوارزمي في مناقبه ، وابن حنويه الموصلي في در بحر المناقب ، والقندوزي الحنفي في ينباع .

وروى ا لحموييني الشافعي في فرائد السمطين عن جابر بن عبد الله (ص) قال : كنا عند النبي (ص) فاقبل علي (ع) ، فقال (ص) : (قد اتاكم اخي). ثم قال (ص) : (والذي نفسي بيده ان هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة).

واخرج الحاكم الحسكاني الحنفي في شواهد التنزيل ج ٣ / ص ٣٥٦ - ٣٦٦ ، الاحاديث من ١١٣٥ الى ١١٤٨ ، بالاسناد الى علي (ع) قال : (قال رسول الله (ص) : يا علي ، الم تسمع قوله تعالى : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) ؟ هم شيعتك ، وموعدي وموعذك الحوض . يدعون غدا محجلين). ومن المصادر الاخرى التي ذكرت نزول الآية : (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) في علي (ع) وشيعته ، و انهم هم الفائزون يوم القيامة :

١- تفسير الطبري .

٢- روح المعاني للالوسي .

٣- جواهر العقدين للسهمودي .

٤- تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي .

٥- فتح القدير للشوكاني .

٦- ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساکر.

٧- انساب الاشراف للبلاذري .

٨- نظم درر السمطين للزرندي .

٩- كفاية الطالب للكنجي الشافعي .

١٠- المناقب للخوارزمي .

١١- نور الابصار للشبلنجي .

١٢- ينابيع المودة للقندوزي الحنفي .

١٣- رشفة الصادي لأبي بكر بن شهاب .

١٤- فرائد السمطين للحموي .

وهكذا نصل الى حقيقة كبرى في معرفة جذور التشيع ونشأة المصطلح وميلاده على عهد رسول الله (ص).

ان مشاهير علماء المسلمين من المحدثين والمفسرين واللغويين يوضحون ان الشيعة هم اتباع اهل البيت و اولياؤهم ، وان الرسول الاكرم (ص) الذي لا ينطق عن الهوى ، هو الذي سمي اتباع علي (ع) بهذا الاسم . ومن ذلك نفهم ان الرسول (ص) كان يمهد لتعريف امته بمستقبل الاحداث والتطورات في حياتها من بعده ، ومن يشايعون ويتبعون .

ان هذه الحقائق العلمية تلغي كل تفسير وتخرص وتشويه لنشأة التشيع وهويته الحقيقية ، فالبذرة الاولى لنشأة التشيع اذن ، كانت على عهد رسول الله (ص) ، غير انه تطور يوم وفاته (ص) الى تكتل سياسي وخط فكري حول الإمام علي (ع) ، يستلهم من ذلك البيان النبوي فكره وموقفه ، فسمي هذا التكتل بالشيعة .

ولاجل ان نعرف شيعة علي من الصحابة ناتي باسماء رواد الشيعة على وجه الاجمال ، ومن اراد التفصيل فليرجع الى ما كتب حولهم من المؤلفات ، وسناتي باسماء تلك الكتب في آخر البحث .

رواد التشيع في عصر النبي

ان الاحالة الى الكتب المؤلفة في ذلك المضمار لا تخلو من عسر وغموض ، فلاجل ذلك ناتي باسماء جمع من الصحابة الشيعة المعروفين بالتشيع :

١- عبد الله بن عباس . ٢- الفضل بن العباس . ٣- عبيد الله بن العباس . ٤- قثم بن العباس . ٥- عبد الرحمن بن العباس . ٦- تمام بن العباس . ٧- عقيل بن أبي طالب . ٨- ابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب . ٩- نوفل بن الحرث . ١٠- عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ١١- عون بن جعفر . ١٢- محمد بن جعفر . ١٣- ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب . ١٤- الطفيل بن الحرث . ١٥- المغيرة بن نوفل بن الحرث . ١٦- عبد الله بن الحرث بن نوفل . ١٧- عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث . ١٨- العباس بن ربيعة بن الحرث . ١٩- العباس بن عتبة بن أبي لهب . ٢٠- عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث . ٢١- جعفر بن أبي سفيان بن الحرث . هؤلاء من مشاهير بني هاشم .

و اما غيرهم فاليك اسماء جمع منهم :

٢٢- سلمان المحمدي . ٢٣- المقداد بن الاسود الكندي . ٢٤ - ابو ذر الغفاري . ٢٥- عمار بن ياسر . ٢٦- حذيفة بن اليمان . ٢٧ - خزيمه بن ثابت . ٢٨ - ابو ايوب الانصاري ، مضيف النبي . ٢٩- ابو الهيثم مالك بن التيهان . ٣٠- أبي بن كعب . ٣١- سعد بن عباد . ٣٢- قيس بن سعد بن عباد . ٣٣ - عدي بن حاتم . ٣٤- عباد بن الصامت . ٣٥ - بلال بن حنيف . ٣٦- ابو رافع ، مولى رسول الله . ٣٧- هاشم بن عتبة . ٣٨- عثمان بن حنيف . ٣٩- سهل بن حنيف . ٤٠ - حكيم بن جبلة العبدي . ٤١ - خالد بن سعيد بن العاص . ٤٢- ابن الحبيب الاسلمي . ٤٣- هند بن أبي هالة التميمي . ٤٤- جابر بن هبيرة . ٤٥- حجر بن عدي الكندي . ٤٦ - عمرو بن الحمق الخزاعي . ٤٧- جابر بن عبد الله الانصاري . ٤٨ - محمد بن الخليفة أبي بكر . ٤٩ - ابان بن سعيد بن العاص . ٥٠- زيد بن صوحان الزيدي .

هؤلاء خمسون صحابيا من الطبقة العليا للشيعة ، فمن اراد التفصيل والوقوف على حياتهم وتشيعهم فليرجع الى الكتب المؤلفة في الرجال ، ولكن بعين مفتوحة وبصيرة نافذة .

وفي الختام نذكر ما ذكره محمد كرد علي في كتابه خطط الشام قال : عرف جماعة من كبار الصحابة بموالاة علي في عصر رسول الله (ص) ، مثل سلمان الفارسي القائل :

بايعنا رسول الله على النصح للمسلمين ، والائتمام بعلي بن أبي طالب والموالاة له ، ومثل أبي سعيد الخدري الذي يقول : أمر الناس بخمس فعملوا بربع وتركوا واحدة ، ولما سئل عن الاربعة ، قال : الصلاة ، والزكاة ، وصوم شهر رمضان ، والحج . قيل : فما الواحدة التي تركوها ؟ قال : ولاية علي بن أبي طالب . قيل له : وانها لمفروضة معهن ؟ قال : نعم هي مفروضة معهن . ومثل أبي ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان .

كيفية نشأة الشيعة في زمن النبي الأعظم

بعد ان عرفنا بداية نشأة الشيعة ، التي سميت اول مرة في زمن النبي الأعظم (ص) بشيعة علي اول امام من ائمة أهل البيت (ع) ، لابد ان ننبه ان ظهور الدعوة الإسلامية وتقدمها وانتشارها خلال ثلاث وعشرين سنة ، زمن البعثة النبوية ، ادت الى ظهور مثل هذه الطائفة بين صحابة النبي الاكرم (ص) لدلائل منها:

١- في الايام الاولى من بعثته (ص) أمر أن يدعو عشيرته الاقربين ، فصرح في جمعهم ان اول من يبايعه على هذا الأمر سيكون خليفته ووصيه من بعده ، فاحجم القوم جميعا الا عليا الذي قام وقال : (انا يا نبي الله) ، فاخذ النبي (ص) برقبته وقال : (ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا) .

وهذا قول الشيعة وجماعة آخرين من اكابر اهل السنة ، منهم الإمام احمد بن حنبل والإمام النسائي والطبري ، والسيوطي والثعلبي و ابو نعيم والبغوي واليعقوبي ، وابن كثير وصاحب السيرة الحلبيه والمنتقي الهندي . ويستحيل عادة على قائد نهضة في ايامها الاولى ان يعين احد اصحابه ووزير او خليفة له على الآخرين ، دون ان يكون معروفا عند الخلق من اصحابه و اعوانه ، او ان يكتفي بهذا القدر من التعريف دون ان يطلعه على مهمته طوال حياته ودعوته ، او ان يجعله بعيدا عن مسؤوليات الوزارة والخلافة ، ولا يفرق بينه وبين الآخرين .

٢- ان النبي الاكرم (ص) - وفقا للروايات المستفيضة عن طرق اهل السنة والشيعة آصرح ان عليا (ع) مصون من المعصية والخطا في اقواله و افعاله ، و ان كل ما يقوم به مطابق للدعوة والرسالة ، و انه اعلم الناس بالعلوم الإسلامية وشريعة السماء. ومن ذلك قوله : (علي مع الحق والقرآن ، والحق والقرآن مع علي ، ولن يفترقا حتى يرثي الحوض).

نقل هذا الحديث عن خمسة عشر طريقا من السنة ، و احد عشر طريقا من الشيعة ، ورواته هم ام المؤمنين ام سلمة وابن عباس وابو بكر و ام المؤمنين عائشة ، وعلي و ابو سعيد الخدري و ابو ليلى و ابو ايوب الانصاري . هذا فضلا عن روايات مدينة العلم ، والثقلين ، و اصحاب الكساء وغيرها.

٣- قام الإمام علي (ع) بخدمات جمة وتوضيحات جلية للرسالة ، كمنامه في فراش النبي (ص) ليلة الهجرة ، وبطولاته التي لا مثيل لها في بدر و احد والخندق وخيبر وحنين وغيرها.

٤- حادثة غدير خم التي اعلن فيها النبي (ص) الولاية العامة لعلي (ع)، بجعله وليا للمسلمين ، له ما كان للرسول عليهم . ومن الطبيعي ان هذه الخصائص والفضائل التي انفرد بها الإمام علي (ع)، والتي هي موضع اتفاق الجميع ، والعلاقة الخاصة التي كانت بينه وبين النبي الاكرم (ص)، جعلت له مؤيدين ومحبين مخلصين من صحابة النبي و انصاره ، كما اثارت لدى خصومه وابنائهم الحقد والحسد.

القرآن الكريم والسنة الشريفة اساس عقائد الشيعة الإمامية

قال الإمام شيخ الطائفة ابو جعفر محمد الطوسي :

(المسألة ١) معرفة الله واجبة على كل مكلف ، بدليل انه منعم ، فيجب معرفته .

(المسألة ٢): الله تعالى موجود، بدليل انه صنع العالم ، و اعطاه الوجود، وكل من كان كذلك فهو موجود.

(المسألة ٣): الله تعالى واجب الوجود لذاته ، بمعنى انه لا يفتقر في وجوده الى غيره ،ولا يجوز عليه العدم ، بدليل انه لو كان ممكنا لافتقر الى صانع ، كافتقار هذا العالم ، وذلك محال على المنعم المعبود.

(المسألة ٤): الله تعالى قديم ازلي ، بمعنى ان وجوده لم يسبقه العدم ، باق ابدى ،بمعنى ان وجوده لن يلحقه العدم .

(المسألة ٥): الله تعالى قادر مختار، بمعنى انه ان شاء يفعل فعل ، وان شاء ان يترك ترك ، بدليل انه صنع العالم في وقت دون آخر.

(المسألة ٦): الله تعالى قادر على كل مقدرة ، وعالم بكل معلوم ، بدليل ان نسبة جميع المقدورات والمعلومات الى ذاته المقدسة المنزهة على السوية ، فاختصاص قدرته تعالى ، وعلمه ببعض دون بعض ترجيح

بلا مرجح ، وهو محال .

(المسألة ٧): الله تعالى عالم ، بمعنى ان الاشياء منكشفة واضحة له ، حاضرة عنده غير غائبة عنه ، بدليل انه تعالى فعل الافعال المحكمة المتقنة ، وكل من فعل ذلك فهو عالم بالضرورة .

(المسألة ٨): الله تعالى يدرك لا بجارحة ، بل بمعنى انه يعلم ما يدرك بالحواس ، لانه منزه عن الجسم ولوازمه ، بدليل قوله تعالى : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير)، (٢) فمعنى قوله تعالى : (انه هو السميع البصير)، (٣) انه عالم بالمسموعات لا باذن ، وبالمبصرات لا بعين .

(المسألة ٩): الله تعالى حي ، بمعنى انه يصح منه ان يقدر ويعلم ، بدليل انه ثبت له القدرة والعلم ، وكل من ثبت له ذلك فهو حي بالضرورة .

(المسألة ١٠): الله تعالى متكلم لا بجارحة ، بل بمعنى انه اوجد الكلام في جرم من الاجرام ، او جسم من الاجسام ، لايصال عظمتة الى الخلق ، بدليل قوله تعالى : (وكلم الله موسى تكليما)، (٤) ولانه قادر، فالكلام ممكن .

(المسألة ١١): الله تعالى صادق ، بمعنى انه لا يقول الا الحق الواقع ، بدليل ان كل كذب قبيح ، والله تعالى منزه عن القبيح .

(المسألة ١٢): الله تعالى مريد، بمعنى انه رجح الفعل اذا علم المصلحة (يعني انه غير مضطر، و ان ارادته غير واقعة تحت ارادة اخرى ، بل هي الارادة العليا التي ان راى صلاحا فعل ، وان راى فسادا لم يفعل ، باختيار منه تعالى ، بدليل انه ترك ايجاد بعض الموجودات في وقت دون وقت ، مع علمه وقدرته - على كل حال - بالسوية ، ولانه نهى ، وهو يدل على الكراهة .

(المسألة ١٣) : انه تعالى واحد، بمعنى انه لا شريك له في الالوهية ، بدليل قوله : (قل هو الله احد)، (٥) ولانه لو كان له شريك لوقع التمانع ، ففسد النظام ، كما قال تعالى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا). (٦)

(المسألة ١٤): الله تعالى غير مركب من شيء ، بدليل انه لو كان مركبا لكان مفتقرا الى الاجزاء، والمفتقر ممكن .

(المسألة ١٥): الله تعالى ليس بجسم ، ولا عرض ، ولا جوهر، بدليل انه لو كان احدهذه الاشياء لكان ممكنا مفتقرا الى صانع . وهو محال .

(المسألة ١٦): الله تعالى ليس بمرئي بحاسة البصر في الدنيا والاخرة ، بدليل انه تعالى مجرد، ولان كل مرئي لابد ان يكون له الجسم والجهة ، والله تعالى منزه عنهما، ولانه تعالى قال : (لن تراني)، (٧) وقال : (لا تدركه الابصار). (٨)

(المسألة ١٧) : الله تعالى ليس محلا للحوادث ، والا لكان حادثا، وحادثه محال .

(المسألة ١٨): الله تعالى لا يتصف بالحلول ، بدليل انه يلزم قيام الواجب بالممكن ، وذلك محال .

(المسألة ١٩): الله تعالى لا يتحد بغيره ، لان الاتحاد صيرورة الشيء واحدًا من غير زيادة ونقصان ، وذلك محال ، والله لا يتصف بالمحال .

(المسألة ٢٠): الله تعالى منفى عنه المعاني والصفات الزائدة ، بمعنى انه ليس عالما بالعلم ، ولا قادرا بالقدرة ، بل علم كله ، وقدرة كله ، بدليل انه لو كان كذلك لزم كونه محلا للحوادث لو كانت حادثة ، وتعدد القدماء لو كانت قديمة ، وهما محالان ، وايضا لزم افتقار الواجب لصفاته المغايرة له ، فيصير ممكنا وهو ممتنع ، والدليل عليه انه واجب الوجود لذاته ، فلا يكون مفتقرا.

(المسألة ٢١): الله تعالى ليس في جهة ولا مكان ، بدليل ان كل ما في الجهة والمكان مفتقر اليهما، وايضا قد ثبت انه تعالى ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ، فلا يكون في المكان والجهة .

(المسألة ٢٢): الله تعالى ليس له ولد ولا صاحبة ، بدليل انه قد ثبت عدم افتقاره الى غيره ، ولان كل ما سواه تعالى ممكن ، فكيف يصير الممكن واجبا بالذات ، ولقوله تعالى : (ليس كمثله شيء) ، (٩) و: (ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب) . (١٠)

(المسألة ٢٣): الله تعالى عدل حكيم ، بمعنى انه لا يفعل قبيحا ولا يخل بالواجب ، بدليل ان فعل القبيح قبيح ، والاخلال بالواجب نقص عليه ، فالله تعالى منزّه عن كل قبيح واخلال بالواجب .

(المسألة ٢٤): الرضا بالقضاء والقدر واجب ، وكل ما كان او يكون فهو بالقضاء والقدر، ولا يلزم بهما الجبر والظلم ، لان القدر والقضاء هما هنا بمعنى العلم والبيان ، والمعنى انه تعالى يعلم كل ما هو (كائن او يكون) . (١١)

(المسألة ٢٥): كل ما فعله الله تعالى فهو اصلح ، والا لزم العبث ، وليس تعالى بعبث ، لقوله : (افحسبتم انما خلقناكم عبثا) . (١٢)

(المسألة ٢٦): اللطف على الله واجب ، لانه خلق الخلق وجعل فيهم الشهوة ، فلو لم يفعل اللطف لزم الاغراء ، وذلك قبيح ، (والله لا يفعل القبيح) فاللطيف هو نصب الادلة ، واكمال العقل ، وارسال الرسل في زمانهم ، وبعد انقطاعهم ابقاء الإمام ، لئلا ينقطع خيط غرضه .

(المسألة ٢٧): نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف رسول الله (ص) حقا صدقا ، بدليل انه ادعى النبوة و اظهر المعجزات على يده ، فثبت انه رسول حقا. و اكبر المعجزات (القرآن المجيد) والفرقان المجيد الفارق بين الحق والباطل ، باق الى يوم القيامة حجة على كافة النسمات ، ووجه كونه معجزا فرط فصاحته وبلاغته ، بحيث ما تمكن احد من اهل الفصاحة والبلاغة حيث تحدوا به ، ان ياتوا ولو بسورة صغيرة ، او آية تامة مثله ، واعتقادنا ان القرآن الذي انزله الله على نبيه محمد (ص) هو ما بين الدفتين ، وهو ما في ايدي الناس ليس باكثر من ذلك . ومن نسب اليه ان نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب .

(المسألة ٢٨): كان نبينا نبيا على نفسه قبل البعثة ، وبعدها رسولا الى كافة النسمات ، لانه قال : (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) ، والا لزم تفضيل المفضول . وهو قبيح .

(المسألة ٢٩): جميع الانبياء كانوا معصومين مطهرين عن العيوب والذنوب كلها، وعن السهو والنسيان في الافعال والاقوال ، من اول الاعمار الى اللحد، بدليل انهم لو فعلوا المعصية او طرأ عليهم السهو لسقط محلهم من القلوب ، فارتفع الوثوق والاعتماد على اقوالهم و افعالهم ، فتبطل فائدة النبوة ، فما ورد في الكتاب (القرآن) فيهم فهو واجب التاويل .

(المسألة ٣٠): يجب ان يكون الانبياء اعلم و افضل اهل زمانهم ، لان تفضيل المفضل قبيح .

(المسألة ٣١): نبينا خاتم النبيين والمرسلين ، بمعنى انه لا نبي بعده الى يوم القيامة .يقول تعالى : (ما كان محمد أباً احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) . (١٣)

(المسألة ٣٢): نبينا اشرف الانبياء والمرسلين ، لانه ثبتت نبوته ، و اخبر بافضليته ، فهو افضل ، لما قال لفاطمة (ع) : (ابوك خير الانبياء، وبعلك خير الاوصياء، وانت سيدة نساء العالمين ، وولدك الحسن والحسين سيديا شباب اهل الجنة ، و ابوهما خير منهما). (١٤)

(المسألة ٣٣): معراج الرسول بالجسم العنصري علانية ، غير منام ، حق ، والاخبار عليه بالتواتر ناطقة صريحة ، و انه مر بالاflak من ابوابها من دون حاجة الى الخرق والالتئام ، وهذه الشبهة الواهية مدفوعة مسطورة بمحالها.

(المسألة ٣٤): دين نبينا ناسخ للاديان السابقة ، لان المصالح تتبدل حسب الزمان والاشخاص ، كما تتبدل المعالجات لمريض بحسب تبدل المزاج والمرض .

(المسألة ٣٥): الإمام بعد نبينا علي بن أبي طالب (ع) ، بدليل قوله (ص) : (يا علي ، انت اخي ووارث علمي ، و انت الخليفة من بعدي ، و انت قاضي ديني ، و انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي) . (١٥) وقوله : (سلموا على علي بامرة المؤمنين ، واسمعوا له و اطيعوا له ، وتعلموا منه ولا تعلموه) . (١٦) وقوله : (من كنت مولاه فهذا علي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) . (١٧)

(المسألة ٣٦): الائمة بعد علي (ع) احد عشر من ذريته ، الاول منهم ولده الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي ، ثم جعفر بن محمد الصادق ، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي ، ثم الخلف الحجة القائم المهدي الهادي ابن الحسن صاحب الزمان ، فكلهم ائمة الناس واحد بعد واحد حقا، بدليل ان كل امام منهم نص على من بعده نصا متواترا بالخلافة .وقوله : (الحسين امام ابن امام ، اخو امام ابو الائمة التسعة ، تاسعهم قائمهم ، يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا).

(المسألة ٣٧): يجب ان يكون الائمة معصومين مطهرين من الذنوب كله ، صغيرة وكبيرة ، عمدا وسهوا، ومن السهو في الافعال والاقوال ، بدليل انهم لو فعلوا المعصية لسقط محلهم من القلب وارتفع الوثوق ، وكيف يهدون بالضالين المضلين ؟ امامتهم .

(المسألة ٣٨): يجب ان يكون الائمة افضل و اعلم ، ولو لم يكونوا كذلك للزم تفضيل المفضل ، او الترجيح بلا

مرجح ، ولا يحصل الانقياد به ، وذلك قبيح عقلا ونقلا، وفضل ائمتنا وعلمهم مشهور، بل افضليتهم اظهر من الشمس و أبين من الامس .

(المسألة ٣٩): يجب ان نعتقد ان آباء نبينا و ائمتنا مسلمون ابدا، بل اكثرهم كانوا اوصياء، فالأخبار عند اهل البيت على إسلام أبي طالب مقطوعة ، وسيرته ادلة عليه ،ومثله مؤمن آل فرعون .

(المسألة ٤٠): الإمام المهدي المنتظر محمد بن الحسن قد تولد في زمان أبيه ، وهو غائب حتى باق الى بقاء الدنيا، لان كل زمان لابد فيه من امام معصوم ، لما انعقد عليه اجماع الامة على انه لا يخلو زمان من حجة ظاهرة مشهورة ، او خافية مستورة ، ولان اللطف في كل زمان واجب ، والإمام لطف ، فوجوده واجب .

(المسألة ٤١): لا استبعاد في طول عمره ، لان غيره من الامم السابقة قد عاش ثلاثة آلاف سنة فصاعدا، كشعيب ونوح ولقمان والخضر وعيسى (ع) . وابليس والدجال .ولان الأمر ممكن ، والله قادر على جميع الممكنات .

(المسألة ٤٢): غيبة المهدي لا تكون من قبل نفسه ، لانه معصوم ، فلا يخل بواجب ، ولا من قبل الله تعالى ، لانه عدل حكيم فلا يفعل القبيح ، لان الاخفاء عن الانظار وحرمان العباد الافادات قبيحان ، فغيبته لكثرة العدو والكفار، ولقلة الناصر.

(المسألة ٤٣): لابد من ظهور المهدي ، بدليل قول النبي (ص): (لو لم يبق من الدنيا الا ساعة واحدة لطول الله تلك الساعة حتى يخرج رجل من ذريتي اسمه اسمي وكنيته كنيتي ، يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا)، (١٨) ويجب على كل مخلوق متابعته .

(المسألة ٤٤): في غيبة الإمام فائدة ، كما تنير الشمس تحت السحاب ، والمشكاة من وراء الحجاب .

(المسألة ٤٥): يرجع بعض ائمتنا المعصومين في زمان المهدي مع جماعة من الامم السابقة واللاحقة ، لاطهار دولتهم وحققهم ، وبه قطعت المتواترات من الروايات والايات ، كقوله تعالى : (ويوم نحشر من كل أمة فوجا)، (١٩) فالاعتقاد به واجب .

(المسألة ٤٦): ان الله يعيد الاجسام الفانية كما هي في الدنيا، ليوصل كل حق الى المستحقين ، وذلك امر ممكن ، والانبياء اخبروا به ، ولا سيما القرآن المجيد مشحون به ، ولا مجال للتأويل ، فالاعتقاد بالمعاد الجسماني واجب .

(المسألة ٤٧): كل ما اخبر به النبي او الإمام فاعتقاده واجب ، كاخبارهم عن نبوة الانبياء السابقين ، والكتب المنزلة ، ووجود الملائكة ، و احوال القبر وعذابه وثوابه ،وسؤال منكر ونكير، والاحياء فيه ، و احوال القيامة و احوالها، والنشور، والحساب والميزان ، والصراط، وانطاق الجوارح ، ووجود الجنة والنار، والحوض الذي يسقي منه امير المؤمنين العطاشى يوم القيامة ، وشفاعة النبي والائمة لاهل الكبائر من محبيهم ، الى غير ذلك ، بدليل انه اخبر بذلك المعصومون .

(المسألة ٤٨): التوبة - وهي الندم على القبيح في الماضي ، والتترك في الحال ، والعزم على عدم المعاودة اليه في الاستقبال واجبة - لدلالة السمع على وجوبها، ولان دفع الضرر واجب عقلا.

(المسألة ٤٩): الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان ، بشرط تجويز التأثير والامن من الضرر. (٢٠)

ومن هذه الرسائل نفهم ما يلي :

١- ان مثل هذه الرسالة دليل واضح على ان جل عقائد الشيعة ، مأخوذة من الكتاب والسنة ، وكلمات ائمتهم ، و ان الشيعة كانت في اواخر القرن الثاني ذات عقائد منتظمة و مستوعبة لجميع ما يرتبط بالمعارف الالهية ، فترى ان ما كتبه الإمام الرضا، وما عرضه السيد عبد العظيم الحسني على الإمام الهادي ، هو السائد في جملة امثال هذه الرسائل .

٢- انه يوجد في ثنايا هذه الرسائل آراء خاصة لمؤلفيها، ربما يقع فيها النقاش والجدال والخلاف مع غيرهم من علماء الشيعة ، فليس كل ما جاء فيها عقيدة اجمع عليها علماء الشيعة ومؤلفوهم ، ولكن المجموع من حيث هو يمثل عقائد الشيعة في مجال صفاته سبحانه و افعاله ، وما يرجع الى النبوة والإمامة والحياة الاخرية ، خصوصا ما يرجع الى الاعتقاد بمقامات الائمة وصفاتهم ، فمن اراد ان يطلع على عقائد الشيعة فليرجع اليها، بدلا من الرجوع الى الكتب المؤلفة من قبل اعدائهم وخصمائهم .

٣- ان الامعان في الاصول التي جاءت في امثال هذه الكتب والرسائل ، يعرب عن موافقة الشيعة في اكثر المسائل العقائدية لعامة المسلمين ، وربما يختلفون عنهم في اصول تختص بمجال الإمامة والقيادة بعد الرسول.

(١) راجع الصواعق المحرقة : ٩٦

(٢) الانعام : ١٠٣

(٣) الاسراء: ١، وغافر: ٥٦

(٤) النساء: ١٦٤

(٥) الاخلاص : ١

(٦) الانبياء : ٢٢

(٧) الاعراف : ١٤٣

(٨) الانعام : ١٠٣

(٩) الشورى : ١١

(١٠) آل عمران : ٥٩

(١١) الاضافة منا لاكمال العبارة .

(١٢) المؤمنون : ١١٥

(١٣) الاحزاب : ٤٠

(١٤) راجع ينابيع المودة : ٤٣٤ - ٤٣٦

- (١٥) راجع صحيح مسلم ٧: ١٢٠ - ١٢١، باب فضائل علي (ع)، وصحيح البخاري ٥: ١٩، باب مناقب علي (ع)، و٦: ٣، باب غزوة تبوك، ومسنند احمد ١: ١٧٤ - ١٧٧، و٣: ٣٢، و٦: ٣٦٩
- (١٦) راجع البحار ٣٧: ٢٩٠ - ٣٤٠
- (١٧) راجع مسند احمد ١: ٨٤ - ١٥٢، و٤: ٢٨١ و٣٧٠ و٣٧٢، و٥: ٣٦٦ - ٤١٩، وسنن الترمذي ٥: ٦٣٣
- (١٨) راجع سنن أبي داود ٤: ١٠٦ - ١٠٧، وكنز العمال ١٤: ٢٦٤ - ٢٦٧
- (١٩) النمل : ٨٣ . أصل الرجعة اجماعي ، والكيفية الواردة في المتن ليست كذلك .
- (٢٠) طبعت الرسالة مع جواهر الفقه للقاضي ابن البراج ، وفي ضمن الرسائل العشر للشيخ الطوسي